

تفريغ
دورة

أبو بكر
القيادي

مختصر منهاج القاصدين

ربع المملكات



www.abobakrelkady.net

abobakrelkady AboBakr Elkady

لابن فلامة المقدسي

المحاضرة الرابعة عشر

السلام عليكم ورحمة الله

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ثم أمّا بعد:

لا نزال مع كتاب مختصر منهاج القاصدين ولا نزال مع ربع المهلكات مع كتاب ذمّ الكبر و

كتاب ذم الكبر والعجب. وهما فصلان:

[١. الفصل الأول في الكبر]

قال الله تعالى: **{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}** [الأعراف: ١٤٦]

وقال تعالى: **{إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ}** [النحل: ٢٣].

وفي الحديث الصحيح من أفراد مسلم، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر."

وفي "الصحيحين" عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: "قالت النار: أوثرت بالمتكبرين."

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة

الذر، (يعني يُجزون بصد قصدهم) يطوهم الناس لهوانهم على الله عزّ وجلّ."

هم كانوا يتكبرون في الدنيا ويدوسون على الناس بسلطان أو بجاه أو بمال أو بصحة أو غير ذلك يعاقبون بضد القصد ويجنس أعمالهم من التكبر والعلو على الخلق.

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: من كانت معصيته في شهوة، فارجوا له التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغفر له، فإذا كانت معصيته من كبر، فاخش عليه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبراً فلعن.

وفي "الصحيحين": أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة"، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن أحد شقيّ إزاري ليسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لست ممن يصنعه خيلاء."

والراجح أن يكون الإزار تحت الكعبين هذا محرم. وقوله صلى الله عليه وسلم ما تحت الكعبين أي الإزار ففي النار ومن جرّ إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، إذا هم ذنبيين بعقوبتين مختلفين: في إنه تحت الكعبين الذي هو النتوء البارز في القدم ده في حد ذاته حرام، فإن فعل ذلك كبرا فإن هذا من الكبائر وأن يكون عقوبته أشد فلا ينظر الله إليه يوم القيامة.

قال: واعلم أن الكبر خلق باطن تصدر عنه أعمال هي ثمرته، فيظهر على الجوارح، وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه، يعنى يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبراً.

في حقيقة الأمر أن يمتزج الكبر مع العجب، وبداية الكبر عجب حيث أنه يرى لنفسه فضلاً على غيره، ثم بعد ذلك يتطور به الأمر إلى أن يصل إنه يرفض الحق ويغمر الناس أي يحتقرهم لو جاءه الناس بالحق لا يقبله لأنه يراهم أقل منه ولذلك هناك تداخل بين الكبر والعجب.

قال : يعنى يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبراً وهذا ينفصل عن العجب، فان العجب لا يستدعى غير المعجب، حتى لو قدر أن يخلق الإنسان وحده تصور أن يكون معجباً،

يريد أن يقول لك إن العجب ممكن الإنسان يكون داخليا هو معجب بنفسه ولسه لم يتعامل مع الناس ولم يحتقر الناس وغير ذلك لكن الكبر يظهر في التعامل مع الخلق.

ولا يتصور أن يكون متكبراً، إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوقه، فإن الإنسان متى رأى نفسه بعين الاستعظام، حقر من دونه وازدراه، وصفة هذا المتكبر، أن ينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالاً واستحقاراً.

وأفة الكبر عظيمة، وفيه يهلك الخواص، وقلما ينفك عنه العبّاد والزهاد والعلماء . في الحقيقة العبّاد والزهاد والعلماء بينتموا عن معاصي الفرج ومعاصي الشهوات الظاهرة ولكن قد يدخل لهم الشيطان من الشهوات الخفية من إرادة العلو ويستطير على الناس بالطاعات ويستطير على الناس بالعلم ويستطير على الناس برؤية زهدهم.

قال : وكيف لا تعظم آفته، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر .

مثقال ذرة من كبر فلا يدخل الجنة لم يرد مثل هذا في الزنا ولا في شرب الخمر وهذا ليس ذرة من كبر، مثقال ذرة، إن كانت الذرة لا ترى بالعين فكيف مثقال الذرة.

هذا يدل على وجوب تفتيش النفس وتفتيش القلب عن الكبر يعني تفضل تفتش تنكش في أمر الكبر وهذا قلما يحترز منه الناس للأسف وهذا يدل على الجهل، وإنما ينبغي ويجب تكلف التواضع وليس فقط التواضع ولذلك كان من دعائه صلى الله عليه وسلم:

"اللهم احييني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرنني في زمرة المساكين "

قال : وإنما صار حجاباً دون الجنة،

لأنه في الحقيقة منازعة لله في صفاته حيث قال عز وجلّ: **الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نازَعَنِي واحِدًا مِنْهُنَّ أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ.**

قال :لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين

ليس هذا فقط لا يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين فقط، بل يحول بين العبد وبين كمال التوحيد. فإن كمال التوحيد يورث العبد انكسارا وافتقارا لله عز وجلّ وعلما باحتياجه لله

وعدم الاستغناء عنه تبارك وتعالى، ويعلم أنه لو أوتي شيئاً من متاع الدنيا أو من الصحة أو من العلم فإن الله هو الذي علّمه والله هو الذي أتاه ذلك، ولذلك سليمان عليه السلام حين رأى عرش بلقيس أمامه: ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۗ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴿ النمل ٤٠ ﴾

وغيره مما يؤتى أقل من ذلك بكثير أنه يتكبر به، هذا يدل على الجهل بالله عز وجل والجهل بالنفس أيضاً واحتياجها إلى الله تبارك وتعالى.

قال : لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين، لأنّ صاحبه لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحبّ لنفسه، (هذا من الفروع) فلا يقدر على التواضع، ولا على ترك الحقد والحسد والغضب، ولا على كظم الغيظ وقبول النصح، لأنّ انت ليس لك حق أصلا عندي ما هو إما يتكبر على المؤمن الذي مثله ويرى نفسه أفضل منه فيرى هذا المؤمن أقل منه وليس له حقوق عنده فيبدأ يحسده لماذا؟ لأنه شايف ما عنده لا يستحقه بل انا اللي استحق.

ولذلك لما تكبر ابليس حسد يعني بداية الحسد كبر.

قال : ولا على ترك الحقد والحسد والغضب، ولا على كظم الغيظ وقبول النصح،

لماذا اكظم غيظي؟ هذا يستحق أن أفرغ فيه غيظي وأن انتقم منه تمام كده الكلام ولا يقبل

النصح طبعا انت مين عشان تنصحنى

انت مين عشان توجهني، أنا أعلم، أنا خير منه.

" قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ

اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "

(سورة البقرة: 247)

قد يصل به الأمر إلى أن يقبل منك الطاعة ولا يقبل مني، كما فعل قبايل مع هابيل، لأنه تقبل

من هابيل ولم يتقبل منه. حتى القبول الذي هو من الله يرى نفسه أحق به، وهذا يؤدي إلى

الغضب، والقتل، والحقد، والحسد، والكبر الذي هو الأصل.

قال : ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيالهم، (طبعا الغيبة والنميمة ده عادي بقى كل واحد

فيه عيب فيبدأ يذكره)

قال : فما من خلق ذميم إلا وهو مضطر إليه ومن شر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم،

وقبول الحق، والانقياد له.

هذا أصل الكفر، كفر فرعون، كفر هامان، كفر قارون، هو الكبر

﴿ وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكَبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس ٧٨]

﴿ قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء ١١١]

﴿ وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنظُرُكُمْ

كٰذِبِينَ ﴾ [هود ٢٧]

{ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ } [الأحقاف ١١]

جعلوا من عدم سبقهم إلى الإيمان، وسبق الأراذل في ذلك، دليلاً على أن الإيمان ليس خيراً، وأن الدين ليس خيراً. فلم يجلسوا في مجلس يجتمع فيه صهيب وبلال وعمار، ولذلك تنحى أبو جهل وأبو لهب عن مجالس النبي صلى الله عليه وسلم، بل وأمره أن يطردهم. فأنزل الله نهييه للنبي صلى الله عليه وسلم عن طرد المؤمنين.

قال : وقد تحصل المعرفة للمتكبر، ولكن لا تطاوعه نفسه على الانقياد للحق، كما قال تعالى:

{ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } [النمل: ١٤]

{ فَقَالُوا أَنْوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا } [المؤمنون: ٤٧]

{ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا } [إبراهيم: ١٠]

وآيات كثيرة نحو هذا، وهذا تكبر على الله وعلى رسوله.

وقد تقدم أن التكبر على العباد هو احتقارهم واستعظام نفسه عليهم، وذلك أيضاً يدعو إلى التكبر على أمر الله تعالى، كما حمل إبليس كبره على آدم عليه السلام أن امتنع من امتثال أمر ربه في السجود .

{ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا } [الإسراء ٦١]

هل هذا كلام يقال ؟ بل جهل حكمة الله عز وجل وانتقصها، كل ذلك لماذا؟ لأنه يرى أن النار أفضل من الطين، وفي الحقيقة النار ليست أفضل من الطين، بل تكون سبباً للهدم والدمار، والطين سبب للنماء، وسبب للخصوبة والخير وغير ذلك

الطين فيه السكون والوقار، والنار فيها الاشتعال وفيها العلو إلى غير ذلك، لكنه ناهض حكمة الله ورفع قراراته بين يدي ربه تبارك وتعالى.

كل هذا لأنه لم يحتمل أن يفضل عليه غيره وأن يُسجد الله عز وجل الملائكة وفيهم إبليس لآدم عليه السلام طبعاً هو إبليس أصلاً كان من الجن وكان يعبد الله على الأرض، حيث كان الجن خلقهم الله قبل البشر بألفي عام وكانوا يسكنون الأرض فسفكوا الدماء وأفسدوا فيها

ولذلك لما أراد الله أن يجعل خليفة في الأرض

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ ﴾ [البقرة ٣٠]

من أين علموا ذلك؟ قاسوا على ما كان من الجن، إبليس كان في الأرض ولم يترك موضعا في الأرض إلا سجد فيه لله فرفعه الله في السماء إلى رتبة الملائكة وكان يسمى طاووس الملائكة ولكن كان الله يعلم إنه من الجن

فجاء الأمر بالسجود لابتلاء إبليس ليظهر ما كان كامنا في نفسه من الضغينة ومن مرض القلب فالملائكة يعبدون الله جبلة لا يملكون إلا ذلك

أما الجن فمكلفون أي يختاروا الطاعة ففسق عن أمر ربّه

﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۗ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۗ ﴾ [الكهف ٥٠]

قال : وقد شرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكبر فقال: "الكبر: بطر الحق وغمط

الناس".

أي حاجة تظهر من هاتين العلامتين يبقى كبر رفض الحق، رفض الأدلة، عدم الانقياد لها، غمط الناس، احتقار الناس، بأي شكل من الأشكال هذا من الكبر، شعبة من الكبر.

قال : ومعنى غمط الناس: الازدراء بهم، واستحقارهم. ويروى: غمص الناس بمعنى غمط الناس.

١. فصل [في تقسيم آفات الكبر]]

واعلم: أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاثة درجات:

الأولى: أن يكون الكبر مستقراً في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيراً من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانها.

الثانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، والإنكار على من يقصر في حقه، فترى العالم يصغر (١) خده للناس، كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقندر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، حين قال:

{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٢١٥].

الدرجة الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه، كالدعاوى والمفاخر، وتزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً.

قال ابن عباس: يقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى. قال

الله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣]

وكذلك التكبر بالمال، والجمال، والقوة، وكثرة الأتباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجرى بين الملوك والتجار ونحوهم.

(والتكبر بالعلم بين العلماء) والتكبر بالجمال أكثر ما يجرى بين النساء، ويدعوهن إلى التنقص والغيبة وذكر العيوب.

وأما التكبر بالأتباع والأنصار، فيجرى بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين.

وفي الجملة فكل ما يمكن أن يعتقد كمالاً، فإن لم يكن في نفسه كمالاً، أمكن أن يتكبر به. حتى إن الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمرة والفجور، لظنه أن ذلك كمال، يعني هو يعتقد إنه كمال حتى لو لم يكن كمال في نفسه فهو يعتقد أن الفجور ده و كثرة الزنا ومضاجعة النساء هذه رجولة مثلا فقد يفتخر بها ويجاهر بها، يفتخر بكثرة الأفلام مثلا اللي عملها، بكثرة الأغاني اللي غناها هو في حد ذاته ليس كمال

لكنه يفتخر به لأنه يعتقد أنه كمال، فهو يبقى فيه ذنب ومجاهرة بالذنب وكبر على شيء في الحقيقة مش كمال

رأيت كيف أن الموضوع مركب إلى هذا الحد؟ لذلك تكون توبة أمثال هؤلاء مشكلة كبيرة. أولئك الذين يصبحون رؤوساً في الفن، وفي العهر، وفي الفكر العفن، وفي المعاصي والمجاهرة بها، يكون لديهم جهل مركب. فهو جاهل ولا يعرف أنه جاهل، وهو عاصٍ ولا يعرف أنه عاصٍ، بل يظن أنه يخدم البلد مثلاً، أو أنه يخدم قضية ورسالة، حتى ولو كان ذلك بالرقص والعهر وغير ذلك. واعلم: أن التكبر يظهر في شمائل الإنسان، كصعر وجهه، ونظره شزراً، وإطراق رأسه، وجلوسه متربعاً ومتكئاً، وفي أقواله، حتى في صوته ونغمته، وصيغة إيراد الكلام، ويظهر ذلك أيضاً في مشيه وتبخره، وقيامه وقعوده وحركاته وسكناته وسائر تقلباته.

ومن خصائل المتكبر، (والتي نستدل بها على إنه متكبر) أن يحب قيام الناس له (ويقوم كده ويقف وهو يكلمني)

والقيام على ضربين:

قيام على رأسه وهو قاعد، فهذا منهي عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار". وهذه عادة الأعاجم والمتكبرين.

الثاني: قيام عند مجيء الإنسان، فقد كان السلف لا يكادون يفعلون ذلك.

قال أنس: لم يكن شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك.

تقول لي: "طب أنا شيخ، وكلما دخلت، الناس تقوم يعني يسلمون عليّ." تبين لهم كراهتك لذلك، طبعاً أكيد لا يوجد أحد يفضل أن يظل جالساً والناس واقفون. هذا غير موجود، فهم يرونه ثم يجلسون مرة أخرى. ومع ذلك، هذا شيء أنا أعلم أنه بسيط، لكن مع ذلك، تبين لهم كراهتك لذلك، فسيجتنبونه إذا عرفوا أنك تكره ذلك.

وقد قال العلماء: يُستحب القيام للوالدين والإمام العادل وفضلاء الناس، وقد صار هذا كالشعار بين الأفاضل. فإذا تركه الإنسان في حق من يصلح أن يفعل في حقه، لم يأمن أن يُنسب إلى إهانتة والتقصير في حقه، فيوجب ذلك حقداً. (وهذا خلل عند من يظن أنها إهانة) واستحباب هذا في حق القائم لا يمنع الذي يُقام له أن يكره ذلك. (فحتى لو قمت من باب الأدب للشيخ الكبير، ينبغي عليك أن تكره ذلك في قلبك، وألا ترى نفسك مستحقاً له)، بل يرى أنه ليس بأهل لذلك.

ومن خصال المتكبر: ألا يمشي إلا ومعه أحد يمشي خلفه. (ولازم أحد يحمل له الحقيبة).

ومنها أن لا يزور أحداً تكبراً على الناس، ومنها أن يستنكف من جلوس أحد إلى جانبه أو مشيه معه.

وقد روى أنس رضى الله عنه قال: كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتنتلق به في حاجتها.

وقال ابن وهب: جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد، وإن فخذى لتمس فخذة فنحيت نفسي عنه، فأخذ ثيابي فجرتني إليه وقال: لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة، وإني لا أعرف منكم رجلاً شراً مني؟!!

يعني لماذا تصنعون طقوساً تُغرس بها الكبر في النفوس؟ لماذا تتنحون عني؟ لماذا تعاملونني كما تعاملون الجبابرة؟ أنا عالم، وأعلم أنني شر، وأني أقل من كل واحد فيكم. وهذه هي حقيقة العلم: الانكسار والتواضع. قال أيوب السختياني: "حقاً للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله".

قال: ومنها أنه لا يتعاطى عملاً في بيته. تجده متكبراً عن أن يعمل في البيت، أو أن يحمل شيئاً من مكان إلى آخر، أو أن يغسل الصحون، أو أن ينظف، أو أن يمسك مكنسة ويكنس. ويتكبر في ذلك، وهذا ليس لأنه مشغول، فهذا موضوع آخر.

قال: وهذا بخلاف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنها أنه لا يحمل متاعه من السوق إلى بيته.

تلاقيه ما يشيلش حاجة أبدا ولا يشيل شنطته ولا شيء.

وقد اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا وحمله ويقول أنا أولى بالحمل .

أنا أولى بالحمل بتاعي.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يحمل الثياب التي يتجر فيها، واشترى عمر رضي الله عنه

لحما فعلقه بيده وحمله الى بيته واشترى علي رضي الله عنه تمرا فحمله في ملحفة..

يبقى يروح السوق ويجيب ويشترى وعادي جدا ويشيل لغاية البيت.

قال له قائل احمل عنك.

قال: لا أبو العيال احق أن يحمل

وأقبل أبو هريرة رضي الله عنه يوما من السوق وقد حمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة

مروان فقال الرجل أوسع الطريق للأمير وهو شايل حزم حطب على دماغه ويقول أوسع

طريق للأمير : فين الإمارة بقى !!؟

يعني الأمير يصنع هذا .

قال ومن أراد أن ينفي الكبر ويستعمل التواضع فعليه بسيرة رسول الله _ صلى الله عليه وسلم..

اه ما تلاقهوش أبدا يقدر يدخل ينضف الميضة ولا ينضف المراحيض، يتكبر على هذا
اكسر نفسك بهذا الأمر.

قال قد سبقت الإشارة إلى آداب النبي _ صلى الله عليه وسلم يعني _ في كتاب آداب المعيشة.
قال باب معالجة الكبر واكتساب التواضع....

اعلم أن الكبر من المهلكات ومداواته فرض عين.
ولك في معالجته مقامان:-

الأول.... في استئصال أصله وقطع شجرته وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربه.
فإنه إذا عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل.

ويكفيه أن ينظر في أصل وجوده بعد العدم من تراب ثم من نطفة خرجت من مخرج البول
ثم من علقة ثم من مضغة.

فصار شيئاً مذكوراً بعد أن كان جماداً لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك فقد ابتداءً
بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبفقره قبل غناه.

قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ

ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم: 54].

يبقى الإنسان يتذكر أصله، هذا يكسر حدة الكبر.

وقد أشار الله تعالى لهذا بقوله {مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ} [عبس: 18-19]

ثم امتن عليه بقوله {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ} [عبس: 20]

وبقوله {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الانسان: 2]

فأحياه بعد الموت.

{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}

[البقرة: 28].

{قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا اِثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اِثْنَتَيْنِ فَاَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ}

[سورة غافر: 11].

الموت الأول اللي هو العدم.

قال وأحسن تصويره وإخراجه إلى الدنيا فاشبعه ورواه وكساه وهداه وقواه.

فأي وجه لكبره وفخره؟!

على أنه لو دام له الوجود على اختياره لكان لطغيانه طريق.

بل قد سلط عليه الأخلاط المتضادة والأمراض الهائلة.

ما فيش حد بيختار لونه ولا شكله ولا طوله ولا قوته ولا حتى بعد ما يخلق ويوهب الحياة

يستطيع أن يختار أن يكون صحيحا على طول.. قويا على طول.. يقظا على طول.. ذكيا على

طول.

يدب إليه الأمراض ويدب إليه الضعف والنقص.

قال بينما بنيانه قد تم إذا هو قد وهى وتهدم.

لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بينما هو يذكر الشيء فينساه

مع إن ذاكرته حديدية وينسى.

هذا ليه؟! النقص ده ليه!! عشان تنكسر.

ليه ربنا قدر عليك النوم كل يوم عشان تنكسر، حياتك ناقصة وستموت.

ليه ربنا قدر عليك النسيان؟! عشان تنكسر.

لتعلم أن علمك ناقص، قدر عليك جهل أضعاف أضعاف ما تعلم لتعلم أنك ناقص.

قدر عليك الجوع والعطش ليه؟! لتعلم أنك ناقص ومحتاج إلى الله.

محتاج للنفس تنفسه، بطنك خاوية تحتاج للأكل اللي تدخله.

خلق خلقا أجوف لا يتمالك نفسه عن الشهوات.

ليظهر احتياجه يكون ابتلاءه بهذا الأمر..

قال لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بينما هو يذكر الشيء فينساه ويستلذ الشيء فيؤذيه.

يستمتع باللذة الجنسية.. اللذة الجنسية.. اللذة الجنسية يتعب جدا.

يروم الشيء فلا يناله، يأخذ بكل أسبابه لا ينال عادي جدا.

يجري جري الوحوش وغير رزقه لن يحوش ثم لا يأمن أن يسلب حياته بغتة.

منتهى الصحة ويطب ساكت

الله!

ليه؟! انسان ضعيف محدود.

يسجد وقبل أن يسجد بدنه ينبغي أن يسجد قلبه لله _ عز وجل _.

قال هذا أوسط أحواله وذاك أول أمره

وأما آخر أمره فالموت الذي يعيده جمادا، ثم يلقى في التراب فيصير جيفة. منتبه.

ادخل كده على أي حبيب دفنته بعد سنة بعد شهرين ثلاثة

الكفن اتفجر والدود دب والنتن ظهر والبطن انتفشت.

اللي كان بيحط جل والبرفيومز والي مش عارف ايه والبشرة وبهتهم وبيعمل والجل في الشعر

وفي الآخر كل ده نتن وتعفن وتحلل.

يبقى الإنسان يا جماعة يتكبر على ايه؟!

الإنسان يعيش عبد ويموت عبد.

ينكسر لله تبارك وتعالى.

قال وتبلى أعضاؤه وتنخر عظامه ويأكل الدود أجزاءه ويعود ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر

منه البنيان.

ثم بعد طول البلاء تجمع أجزاء متفرقة ويحضر عرصات القيامة فيرى أرضا مبدلة وجبالا

مسيرة وسماء منشقة ونجوم منكدره وشمسا مكورة وأحوال مظلمة وجحيما تزفر وصحائف

تنشر ويقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

يقول.. وما كتابي فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها ملكان يحصيان ما تنطق به وتعمل من قليل وكثير وقيام وقعود وأكل وشرب وقد نسيت ذلك وأحصاه الله تعالى فهلم إلى الحساب عليه وأعد جوابا له وإلا فأنت تساق إلى النار.

فما لمن هذا حاله التكبر؟!

دا بلوته بلوة.

دا حمل أمانة نأت بها السماوات والأرض والجبال لم تستطع أن تحملها.

يا عم بس أنت بس اتهد كده واقعد في حطة واهدأ واسكن وانكسر وتضرع الى الله عز وجل أن ينجيك وأن تقوم بحملك الثقيل.

{..... وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ} [الأنعام: 31]

قال... فإنه إن صار إلى النار فالبهائم احسن حالا منه لأنها تعود إلى التراب ومن هذا حاله وهو على شك من العفو عن أخطائه كيف يتكبر؟!

ومن الذي يسلم من ذنب يستحق به العقوبة؟!

وما مثله إلا كمثل رجل جنى على ملك جناية يستحق أن يضرب لأجلها ألف سوط. فحبس في

السجن يخرج فيعاقب وهو منتظر أن يدعى به لذلك

افتراه يتكبر على أهل السجن؟!

وهل الدنيا إلا سجن! وهل المعاصي إلا موجبة للعقاب؟!

وأما معرفة ربه فيكفيه أن ينظر في آثار قدرته وعجائب صنعته.

ولتعلم الله وصفاته يذيب الكبر كما يذيب الملح في الماء.

فتلوح له العظمة وتظهر له المعرفة فهذا هو العلاج القالع لأصل الكبر.

ومن العلاج العملي التواضع بالفعل لله تعالى ولعباده وذلك بالمواظبة على استعمال خلق

المتواضعين

وقد تقدمت الإشارة إلى طريقة رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ وما كان عليه من التواضع

والأخلاق الجميلة.

يبقى أول مقام في علاج الكبر {مقام الاستئصال}

استأصل الورم الخبيث كله.

تاني مقام فيما يعرض من التكبر بالأنساب

تراه الكبر من جهة النسب فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره.

أنت دي حاجة مش تبعك دي حاجة ترجع للأجداد..

ثم يعلم أباه وجدته فان أباه القريب نطفة قدرة وأباه البعيد تراب.

ومن اعتراه الكبر بالجمال فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى ظاهره نظر الهائم.

ومن اعتراه الكبر القوة فليعلم أنه لو ألمه ضرر بس، لا صبعه دوحس بس الأظفر بتاعه

عاد أعجز من كل عاجز.

وان حى يوم تحلحل من قوة ما لا يعود في مدة.

وأن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته وبقة لو دخل في أذنه لأقلقتة.

ومن تكبر بسبب الغنى فإذا تأمل خلقا من اليهود وجدهم أغنى منه فيا لشرف تسبق به اليهود

ويستلمه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا.

ومن تكبر بسبب العلم فليعلم أن حجة الله على العالم أكد من الجاهل.

وليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده

جلطة في المخ تنسيك كل هذا

فإن خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره.

وليعلم ايضا أن الكبر لا يليق إلا بالله وأنه إذا تكبر صار ممقوتا عند الله _ عز وجل _ بغيضا عنده.

وقد أحبّ الله منه ان يتواضع

وكذلك كل سبب يعالجه بنقيضه ويستعمل التواضع

واعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان ووسط.

فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا

وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة.

والوسط يسمى تواضعا وهو المحمود، وهو يتواضع من غير مذلة فخير الأمور أواسطها.

فمن تقدم على أقرانه فهو متكبر، ومن تأخر عنهم فهو متواضع لأنه قد وضع شيئا من قدره.

فأما إذا دخل على العالم اسكاف أو نحوه فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم قدم له نعله

ومشى معه إلى الباب فقد تخاسس وتذلل.

فذلك غير محمود بقى المحمود العدل وهو أن يعطي كل ذي حق حقه.

لكن تواضعه للسوقة بالرفق في السؤال واللين في الكلام وإجابة الدعوة والسعي في الحاجة

ولا يحقره ولا يستصغره والله أعلم..

يبقى التواضع مش معناه إن أنت تقلل من قدر نفسك بل تضعها في موضعها.

رحم الله إمرئ عرف قدر نفسه، لا بالتكبر ولا بالتخاسس وإنما بالتواضع.

العجب متداخل مع الكبر.

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي_ صلى الله عليه وسلم_ أنه قال بينما رجل يتبخر في بردين إذا أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل بها إلى يوم القيامة .

وقال صلى الله عليه وسلم : "ثلاث مهلكات: شُحُّ مطاع، وهوى متَّبَع، وإعجابُ المرء

بنفسه".

وروي عن ابن مسعود_ رضي الله عنه_ أنه قال الهلاك في شيئين العجب والقنوط.

وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالطلب والتشمير.

والقنوط لا يطلب والمعجب يظن أنه قد ظفر بمراده فلا يسعى.

وقال مطرف_ رحمه الله_ لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلي من أن أبيت قائما وأصبح

معجبا.

مش معنى كده إن احنا هنترك قيام الليل عشان نبقى كده. عشان نقوم نادمين.

لا.... تقوم وتعلم أن الذي أقامك هو الله_ عز وجل_.

العذري يا جماعة بيسموه رياء النفس. يعني إنسان قفل على نفسه الاوضة ومع ذلك مرأئي.

مرأئي ايه؟! بيرأئي مين؟!

مش الناس بيرأئي نفسه. هو بيثبت لنفسه إن هو كويس.

لا احنا بنعمل كده لله _ عز وجل _.

ونعلم أن الله هو الذي ألهم نفسك تقواها. وليس من عند نفسك هذه هي التقوى.

لو من عند نفسك نفسك أمانة بالسوء.

لو من عند نفسك فإنه ليس لك من نفسك إلا العدم.

فالله عز وجل هو الذي يهدي فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن

إلا نفسه

النفس لا تأمر إلا بالبشر إلا أن تصل إلى الدرجة أن تكون نفسا مطمئنة فهذا حين يمن الله _

تبارك وتعالى _ عليها ويهديها.

واعلم أن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه فيتولد من العجب الكبري ومن الكبر

الآفات الكثيرة وهذا مع الخلق.

فأما مع الخالق فإن العجب بالطاعات نتيجة استعظامها. ولا تمنن تستكثر.

يبقى تلاقيه بيمن على ربنا بالأعمال.

فكأنما يمن على الله بفعلها وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها.

يبقى نعالج العجب ازاي؟!

أول شيء: تستحضر عظمة الله عز وجل.

ثاني شيء: تستحضر كثرة ذنوبك.

ثالث شيء: تستحضر الآفات التي في عملك.

رابع شيء: تستحضر سير الصالحين واجتهادهم في العبادة.

خامس شيء: تستحضر نعم الله عليك التي لا تكفيها أبدا شكرا.

قال وإنما يتفقد آفات الأعمال من خاف ربه دون من رضيها وأعجب بها.

والعجب إنما يكون بوصف كمال من علم أو عمل فإن ضاف إلى ذلك أن يرى حقاله عند الله

إذلالا.

فالعجب يحصل باستعظام ما أعجب به والإذلال يوجب توقع الجزاء مثل أن يتوقع إجابة

دعائه.

لأنه غفل عن ذنوبه غفل عن النعم التي ما شكرهاش. غفل عن أن هذا الاجتهاد دا ولا حاجة بالنسبة لاجتهاد الأنبياء والمصلحين والصحابة والتابعين وتابعهم والصالحين عبر الزمان. غفل عن الآفات المفسدة للعمل. غفل عن كل ذلك فده الي خلاه كأنه يستوجب على الله مقابل أعماله.

قال اعلم أن الله سبحانه هو المنعم عليك بايجادك وإيجاد أعمالك. يبقى معرفة أن الله هو الموفق وأن الله خالق العبد وعمله.

{والله خلقكم وما تعملون} [الصفات: 96]

ربي آتي نفسي تقواها.. رب اجعلني مقيم الصلاة.. ربي أوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي. ربي اجعلني لك ذكرا لك شكارا لك رهابا لك مطوعا لك مخبتا. إليك منيبا. علمه بهذا واليقين بهذا يكسره. وأسباب أعمالك.

فلا معنى لعجب عامل بعمله. ولا عالم بعلمه ولا جميل بجماله ولا غني بغناه إذ كل ذلك من فضل الله تعالى.

يعني الأمور طبعا التي ما لكش فيها اختيار زي الجمال والقوة والحاجات دي كلها يعني ما لكش فيها أي اختيار بتعجب بها على أساس ايه؟!

يعني الأمور اللي فيها اختيار وفيها كسب وفيها تعب ومجهود ممكن الإنسان يوسوس له الشيطان لكن الأمور بقى اللي محض هبة وموهبة من الله ونعمة المفروض تشكر. طب الأمور اللي فيها مجهود اعلم أن حتى هذا المجهود من توفيق الله عز وجل بأسباب التوفيق وأسباب العمل.

فإن قلت أن العمل حصل بقدرتك هو ده الأمور المكتسبة. فمن أين قدرتك؟! ولا يتصور العمل إلا بوجودك ووجود عملك واراadtك وقدرتك وكل ذلك من الله تعالى لا منك.

{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [سورة التكوير: ٢٩]

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

فإن كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاح وهذا المفتاح بيد الله.

وما لم تعط المفتاح لا يمكنك العمل.

حتى لو قعدت عند خزانة مغلقة لم تقدر على ما فيها إلا أن تعطى مفتاحها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ".

قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: "وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْبُدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ

مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا".

واعلم أن العجب يكون بالأسباب التي بها يقع الكبر. وقد سبق علاجها.

ومن ذلك العجب بالنسب كما يتخيل الشريف أنه ينجو بشرف آبائه. وعلاجه أن يعلم أنه

متى خالف اباءه وظن أنه ملحق بهم فقد جهل، وإن اقتدى بهم فإنه لم يكن العجب من

أخلاقهم.

يعني لو اقتدى بالصالحين. العجب لم يكن من أخلاقهم بل الخوف والازدراء على النفس.

كما كان الصحابة حتى المبشرون بالجنة يخافون على أنفسهم. وإنما شرفوا بالطاعة

والخصال المحمودة لا بنفس النسب.

قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات، 13]

وقال النبي _صلى الله عليه وسلم_ يا فاطمة لا أغني عنك من الله شيئا.

فإن قلت إنما يرجو الشريف أن فيه ذو قرابته. فالجواز أن كل المسلمين يرجون الشفاعة.

وقد يشفع في الشخص بعد احراقه بالنار. وقد يقوى الذنب فلا تنجي الشفاعة.

يعني الشفاعة فيه شيء محتمل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لا يأتين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، أو على رقبته بغير له رغاء، يقول: يا

رسول الله أعثني! فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ".

(رواه البخاري ومسلم)

. ومثل المنهمك في الذنوب اعتماداً على الشفاعة كمثّل المريض المنهمك في الشهوات اعتماداً

على طبيبه الحاذق المشفق وهذا جهل لأن اجتهاد الطبيب ينفع في بعض الأمراض لا كلها.

ويوضح هذا أن سادات الصحابة أجمعين رضوان الله عليهم كانوا يخافون من الآخرة فكيف

بمن هو دون مراتبهم..

ومن العجب أيضاً العجب بالرأي الخطأ كما في قوله تعالى ...

{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [فاطر: ٨]

وعلاج هذا أشد من علاج غيره فإن هذا متى كان معجباً برأيه لم يصغ لنصح ناصح .

وكيف يترك ما يعتقد فيه النجاة؟

وعلاج ذلك أن يكون متهما دوما لرأيه ما لم يكن له قاطع من الكتاب أو السنة أو دليل عقلي جامع لشروط الأدلة ولن يتأتى له ذلك إلا بمجالسة أهل العلم ومدارسة الكتاب والسنة. والأولى لمن لم يتفرغ لاستخراج العمر في العلم ألا يخوض في المذاهب بل يقف عند اعتقاد في الجملة أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وأن رسوله صادق فيما جاء به ويؤمن بما جاء به القرآن والسنة من غير بحث ولا تنقيب ويصرف زمنه في التقوى وأداء العبادات.

وألا يخوض في المذاهب فمتى خاض في المذاهب ورام ما لا يصل إلى معرفته لا سيما مواهب الاعتقاد لأن الذي دفعه إلى ذلك هو عجبه بعلمه إلا أن يكون عالما متحصنا بالعقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة.

نقف عند كتاب الغرور